

## محاضرة بعنوان / ثقافة التسامح في المجتمع العراقي

### المقدمة :-

تعد الحاجة الى ثقافة التسامح في المجتمع احدى الضرورات الاجتماعية في الواقع العراقي المعاصر بعد ان اخذت ظاهرة العنف وظاهرة تهمد العلاقات الاجتماعية ماخذها طيلة الفترات السابق .

ان الصراعات العنيفة التي تعرض لها المجتمع العراقي جعل الذات العراقية تتمركز حول محور العنف واصبح هذا المحور يحتل جزء كبير من المجتمع العراقي اذ تغلغل في ثقافتنا الباطنية او المستترة واصبح جزءا من ميولنا النفسية والاجتماعية حتى بدأ العنف يظهر في سلوكياتنا وتعملنا اليومي ليكون نمط ثقافي يميز مجتمعنا عن المجتمعات الاخرى ، ولكننا اليوم بعد استيعاب المجتمع العراقي لدروس الماضي وتعرضه لتغيرات اجتماعية وثقافية وسياسية مهمة في تاريخه الحديث وخروجه من العزلة الاجتماعية جعلته امام ثقافة جديدة اخذت تحتل الجزء الاكبر من اولويات التفكير في الشخصية العراقية ، فكلما اتسعت الاختلافات القومية والمذهبية والدينية ازدادت الحاجة الى اطر ثقافية وقيم جديدة تحتضن كل معالم الاختلاف وتستوعب جميع الشرائح والفئات وتؤسس لحقائق التسامح كوسيلة مجتمعية وحضارية في ادارت الخلافات والاختلافات المتوافره لتكون ثقافته مجتمعية تسود بين جميع فئات المجتمع .

### المفاهيم والمصطلحات العلمية :-

#### ثقافة التسامح

اذا اردنا تعريف مفهوم ثقافة التسامح كمفهوم واحد لايد لنا من تعريف مفهومي الثقافة ثم التسامح ثم ايجاد معنى او تعريف يجمع بينهما ، فالثقافة هي الانماط الظاهره والباطنه للسلوك المكتسب عن طريق الرموز والذي يتكون في مجتمع معين من علوم ومعتقدات وقيم وعادات او انها تتكون من النماذج المتصلة بالسلوك وبمنتجات الفعل الانساني التي يمكن ان تورث .

اما مفهوم التسامح فقد جاء في لسان العرب ، سمح ، السماح ، السماح ، والتسميح ، والمسامحه هي المساهله . وجاء في قاموس العلوم الاجتماعية ان التسامح يعني قبول اراء الاخرين وسلوكهم عل مبدأ الاختلاف، ومحاولة تغيير الاوضاع الاجتماعية والسياسية وفق مبدأ الحوار والتسامح وقبول الاخر .

على الرغم من حداثة استخدام مفهوم التسامح في الادبيات العربية والعراقية ، الا ان للمفهوم ابعاد دينية واجتماعية ، فمن الناحية الدينية فالدين الاسلامي يدعوا الى التسامح والمحبه والتأزر والتضامن والوحده ، وهذا ما نص عليه القرآن الكريم من خلال الدعوه الى الحوار " وجادلهم بالتي هي احسن " النحل (١٢٥) " ولو كنت فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك " ال عمران (١٥٩) " وان تغفوا اقرب للتعوى ولا تنسوا الفضل بينكم " البقرة (٢٣٧) . وتظهر صحيفة المدينة التي اعلنها رسول الله محمد (صل الله عليه وسلم ) حين دخال يثرب مدى الحرص على اقامة مجتمع مدني متسامح تفتتح فيه الجماعات على بعضها تفاعلا وتبادالا للمصالح بدون

عنف او قسر ففي اول خطاب القاه الرسول (صل الله عليه وسلم ) قال " من استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشق تمره فليفعل ومن لم يجد فبكلمه طيبه فان بها تجري الحسنه عشرة امثالها " وقال الامام علي ( رضي الله عنه ) للخوارج " ان لكم عندنا ثلاث ما صحبتونا ، لا نمنعكم مساجد الله ان تذكر فيها اسمه ولا نمنعكم من الفء ، مادامت ايديكم في ايدينا ولا نقاتلكم حتى تبدؤون "

ان كلمتي العفو والصفح اللتان وردتا في القران الكريم هما ما نحتاج اليهما في المجتمع العراقي ، وعلى الجميع ان يدركوا ان العنف يمثل عبودية الحقد وان التسامح هو الحرية وان ثقافة التسامح هي ثقافة الوطن الواحد ، اما العنف فهو ثقافة الانقسام والتشردم ، التسامح اذن :-

- اعتراف بالآخر واحترام لحقوقه ومصالحه
- تكريس مبدا الحوار معه بدلا من العنف والاكراه
- يحرر الانسان من دوافع الثار والشر التي يزدحم بها الماضي ويمنحه الحرية والقدرة على اصلاح الحاضر والتطلع المتفائل الى المستقبل .
- يعزز قيمة المواطنه والهوية الوطنية .

### **دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تنمية ثقافة التسامح :-**

#### **اولاً – الاسرة وثقافة التسامح .**

ان الاسرة هي البيئة الاجتماعية الاولى للطفل وهي الوحدة الاجتماعية الاولى التي يحتك بها ويكتسب منها معظم سلوكياته الاجتماعية . وينشأ الطفل في محيطها وجوها متعلما ومتقفا بفن التعامل والتعاون والانسجام والتوافق والمنافسة ، ويشعر كونه فردا في جماعه تقوم بينهم علاقات اجتماعية ، وينمو وعية الاجتماعي بالضوابط المقررة اجتماعيا . ففي الوسط الاسري تتحقق هوية الانسان الاولى . ويدخل افراد الاسرة جميعا في محيط حياة كاملة من التفاعلات الانسانية وعلى ضوء مستوى ثقافة وغن تعاملهم مع بعضهم تتكون شخصياتهم فالاسرة التي تتعامل مع ابنائها بدراية وتمتلك تجربه تربوية وتراقب سلوك كل واحد منهم وتعترف بشخصيته وتحقق له حاجاته الاساسية وتشبعها ويسود بينها نوع من الالفة والمحبة والتعاون والانسجام لانها اتبعت اساليب التربية والتعامل الصحيح ان اشاعة ثقافة الحوار والتسامح انما تبدا من الاسرة فالاسرة لها اثر كبير في هذا الجانب لاسيما العلاقة بين الاباء والابناء .

لذلك فان استخدام الانماط السلوكية وتكرار استخدامها يكسبها الصفة التلقائية فيتبعها الفرد ويستجيب لها كمتطلبات مجتمعه دون مواجهة صعوبات تذكر . لذا تعد الاسرة هي المغذي الاول للثقافة لدى ابناء المجتمع ويتوقف عليها مدى بناء المجتمع العراقي بثقافة جديدة عن طريق التربية والتنشئة الاجتماعية ثقافة تؤمن بنهج المسامحة والمسالمة في حل جميع الخصومات . ويتم ذلك من خلال اشاعة روح الوئام بين ابنائها واتباع الممارسات اللاعنفية في حل جميع المشاكل التي تواجه الاسرة .

الى جانب ذلك لابد من الاهتمام بالعدالة بين الابناء والتي تساهم في تعريف الطفل والمراهق بحقوقه وحقوق الاخرين وكما ان تعزيز التنافس الصحيح ينمي لدى الاولاد الاعتراف بمهارات الاخرين وما يمتلكونه من قدرات فقد يكون من الضروري ان نعلم الابناء تقديم التهاني في المسابقات للفائزين فهذه تعزز لديه الشعور بحب

الآخرين واحترامهم وتنمي الخير لهم مما يساعد في تدريب الاولاد على مقدمات التسامح والعتو .

نستنتج مما تقدم ان لغة الحوار والتدريب على مهارات الاستماع دورا كبيرا في التنشئة الاجتماعية لابنائنا ، فاذا استمعنا لاولادنا وهم يعللون اخطائهم ويبررون تصرفاتهم ، فان ملكة الانصات للآخرين ستقوى لديهم مما يجعلهم مستمعين جيدين لاختفاء الآخرين وتقبل ارائهم والنظر بعمق لما يقوله الاخر ، ويجب ان يتعلم كيف ياخذ حقوقه المشروعه ويعرف نظرة الآخرين اليه فلو تحاور وتسامح مع الاخر لا بد ان تكون النظرة اليه على انه طفل شجاع استطاع ان يغفر ويعفوا، لذا تبقى دائما العلاقات الاسرية هي نبراس هذه الثقافه وهي المرآة المعكوسة على الاولاد في تبني ثقافة اللاعتف وهي اولا واخيرا مسؤولية الاباء في تعزيز هذه الثقافة .

### ثانيا - المدرسة وثقافة التسامح .

لقد غدا التعليم من اجل نشر ثقافة السلام والتسامح في المجتمع العراقي ضرورة ملحة . وينبغي ان تسهم السياسات والبرامج التعليمية والمناهج الدراسية ومضامين الكتب المدرسية والدروس وغيرها من المواد التعليمية في تعزيز التفاهم والتضامن والتسامح بين الافراد ومحاربة العنف والتطرف ، وفي هذا الصدد تؤكد الاتجاهات التربوية الحديثة على نشر المعرفة الاساسية بثقافة السلام والتسامح في المناهج المدرسية اندماجها بالقيم العامه من خلال المناهج الدراسية المدرسية والجامعية ، ومن اكثر النماذج فاعلية على المدى الطويل في احداث التحول الاجتماعي الايجابي وايصالها المعرفة الاساسية بثقافة السلام والتسامح الى كل فرد من افراد المجتمع وادخالها في ثقافتهم وجعلها جزءا من حياتهم اليومية . كما يجب ان يسود في المؤسسة التربويه ديمقراطية تعامل التدريسيين مع الطلبة لتسود ثقافة الحوار وان يتم التعامل بحرية في ابداء الراي ليتعلم الطلبة احترام الحوار وجدواه في ابداء ارائهم المختلفة وليمتلكوا الشجاعه في بيان اختلافهم .

لتوفير بيئة تعليمية تساعد عل نشر ثقافة التسامح بين الطلبة فلا بد من وجود مجموعه من العناصر الاساسية التي تحفز على التعلم ومنها :

- ١- وجود وسائل متعددة للتعليم تساعد على الحوار والمناقشة .
- ٢- وجود مكتبه متخصصه تحفز على البحث وتشجع على الدراسة .
- ٣- وجود قاعة دراسية تساعد على شيوع روح المناقشة والابداع .
- ٤- اعطاء الفرصه للطلاب للمناقشة والحوار والابداع والاختلاف ، فالابداع ينمو في اجواء الحوار ويموت في مهده في اجواء الدكتاتورية الصارمة .

نستخلص مما تقدم ان اهمية التعليم في الاسهام في تكريس ثقافة التسامح بوصفها استراتيجية في عملية التنشئة الاجتماعية التي تعمل عليها المؤسسة التربويه .

### ثالثا - الجامعة وثقافة التسامح .

ان الجامعه بمثابة القلب من المجتمع وانها مركز الاشعاع والتاثير ، ولا بد للجامعة ان تمسك بزمام المبادرة للتاثير والتغيير نحو ثقافة التسامح ، الا ان قدرتها في تحقيق اهدافها ورسالتها في بناء المجتمع وتنميته يتوقف على مدى قدرتها على اداء وظائفها المختلفة والتي يمكن اجمالها في ثلاث وظائف رئيسية ، وهي التعليم والذي من خلاله يتم نقل المعرفة والبحث العلمي الذي ينتج المعرفه وخدمة المجتمع بهدف

تتميته وتقدمه وحل مشكلاته ، وهكذا يطرح مفهوم الجامعة في تنمية المجتمع بدلا من مفهوم الجامعة المنعزلة عن المجتمع .

فللنمط الاداري الذي يمارس داخل الجامعة دور كبير في نشر القيم الانسانية والاخلاقية ، واهمها قيم التسامح ، وتقبل النقد وقبول الفكر المخالف والاقرار بحق الاختلاف ، من خلال تهيئة البيئة الملائمة داخل الوسط الجامعي ولعضو الهيئة التدريسية دور قيادي في نشر قيم التسامح والاعتدال ذلك لانه بمثابة الاب الروحي والاخ الاكبر لطلبته وهو نموذج سلوكي يفقدي به طلبته ، فضلا عن ذلك تسهم المناهج الدراسية في اكتساب الطلبة قيم التسامح من خلال امداد الطلبة بالمعلومات والمعارف والخبرات والمهارات التي من شأنها ان تعزز لديهم قيم التسامح ، ويمكن للجامعة ان تحقق تقدما كبيرا في تعزيز قيم التسامح من خلال تفعيل الانشطة الطلابية من خلال الاحتفالات بالمناسبات الوطنية والانشطة الرياضية والعلمية والثقافية والفعاليات الفنية والانشطة المجتمعية ، بوصفها المجال الحر الذي ينمي شخصية الطالب ويوفر له الجو الاجتماعي الآمن ويقوي صلات المحبه بينهم من خلال المشاركة والتعاون والعمل الجماعي .

#### **رابعاً - الاعلام وثقافة التسامح .**

لقد جاءت ثورة الاتصالات لتجعل من وسائل الاعلام شريكا فاعلا يسهم بقدر كبير في عملية التنشئة الاجتماعية ، وتظهر فاعلية وسائل الاعلام في قدرتها على التحرك حيث يوجد الجمهور المستهدف في بيته او مكتبه او اي مكان يتجه اليه تخاطب الكبير والصغير والمرأة والرجل ، كم ان وسائل الاعلام احتلت نفسها مكانا في ميادين الفكر كافة والتاثير في الثقافة والترويج والتوجيه وفق اساليب مستحدثة وتقنيات عالية مما يجعل افراد المجتمع يسلمون عقولهم وعاطفتهم للوسيلة الاعلامية لتقوم بدور الاسرة والمدرسة ، فوسائل الاعلام فوائدها منها قدرتها في توجيه الراي العام نحو التغيير من خلال ترويج افكار المساواة والتسامح والعدالة الاجتماعية وقدرة هذه الوسائل ترويج ثقافة تتناسب مع متطلبات المجتمع وتلبي رغباته مما يتيح امكانية استخدام وسائل الاعلام الجماهيري ، كالتلفاز والانترنت والصحف والمجلات والكتب ، في نشر ثقافة التسامح داخل المجتمع العراقي لما لهذه الوسائل من قدرة على توافر مناخ فكري للتغيير عن طريق بث افكار جديده تسهم في عملية التغيير نحو ثقافته تؤمن بالسلم والحوار طريق لحل جميع الاختلافات والتناقضات المتوافره داخل المجتمع العراقي ، ثم تقليل وسائل الاعلام لعرضها مظاهر العنف الى الحد الادنى وللضرورة القصوى فقط يساهم في حصر ثقافة العنف بين فئات المجتمع ، لان مشاهدة مظاهر العنف بالصورة او بالفلم خاصه من قبل الاطفال والشباب هو مقدمة التطبع عليه ومحاولة محاكاته على ارض الواقع وفي ممارساته اليومية . ان لوسائل الاعلام القدرة على اشاعة ثقافة التسامح عبر ادواتها الاعلامية التي تصل بشكل مباشر الى جميع شرائح المجتمع وعلى اختلاف ثقافتهم انما استخدمت نقطة حوار وتفاهم ولقاء لا نقطة خلاف وتناقض وصراع .

## التوصيات .

- ١- حث الوالدين على نشر ثقافة التسامح والحوار وتقبل الراي الاخر داخل الاسرة . وذلك عن طريق حرص الوالدين على اقامة علاقات سليمة مع الابناء قائمة على الحوار والاحترام المتبادل وتقبل الراي الاخر والتخلي عن العلاقات القائمة على التسلط والاستبداد بالراي .
- ٢- غرس القيم الدينية المعتدلة والمتسامحة في نفوس الابناء ، مع تكثيف اشراف ومتابعة الاباء للابناء .
- ٣- اعتماد المؤسسات الاعلامية في العراق برامج حوارية متنوعة لاشاعة ثقافة الحوار والتسامح سواء كان ذلك من خلال اللقاء والندوات والمهرجانات والدراما او من خلال الاعلانات والبوسترات وغيرها من الوسائل التي تساعد على اشاعة ثقافة التسامح في المجتمع العراقي ، فضلا عن الاستفاده من توجهات الوسائل الاعلامية الاخرى كالقنوات العربية والصحف في اسلوب عرضها مواد اشاعة ثقافة الحوار والتسامح الموجهه للأفراد بمختلف الشرائح
- ٤- ضرورة ادخال موضوعات دراسية في المناهج التربويه التي تحت على التسامح والحوار ووضع امثله في المناهج المدرسية للطلاب عن مفهوم ثقافة التسامح لما لها من اثر ايجابي في تنمية ثقافة التسامح في المجتمع العراقي .
- ٥- اقرار مناهج دراسية من المرحلة الابتدائية الى الجامعية لتعليم النشئ المحبة والتسامح .
- ٦- عقد دورات تدريبية للكادر التدريسي من مشرفين ومعلمين يتم خلالها اكسابهم المهارات كي تجعلهم على وعي تام وادراك بمفهوم ثقافة التسامح .
- ٧- تشجيع الانشطة الطلابية المدرسية والجامعية التي تساهم في تنمية المهارات والقيم الايجابية لدى الطلاب ومن ضمنها التسامح وقبول الاخر واحترامه .
- ٨- اشاعة ثقافة المنظومة الاسلامية المعتدلة التي تتجسد فيها المواطنه بكل ابعادها وابرار التراث الاسلامي كما جاء في وثيقة المدينة المنوره ، وسلوك وافعال سلفنا الصالح فيما يخص التسامح وقبول الاخر .
- ٩- ان عملية نشر ثقافة التسامح في المجتمع تتطلب تكاتف الجهود من قبل الجهات المعنية المختلفة ، مثل وزارة التربية ، ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، ووزارة حقوق الانسان ، ووزارة الثقافة ، والاقواف ، ومنظمات المجتمع المدني . وهي جهات يمكن لها ان تضطلع بنشر ثقافة الحوار في المجتمع العراقي .

### المدرس

حسن حميد حسن الباوي  
جامعة ديالى- كلية التربية للعلوم الانسانية  
قسم التاريخ